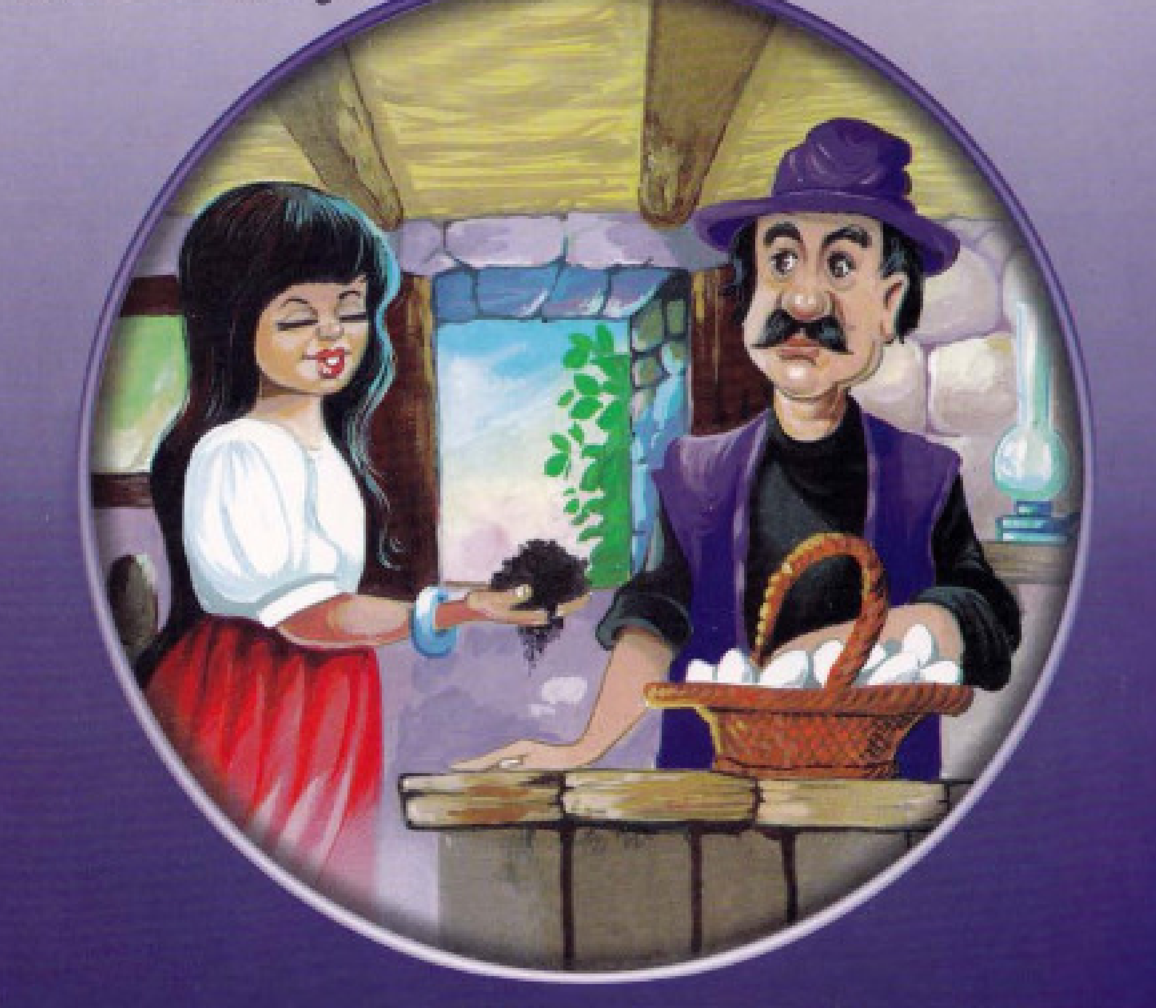
حكايات الشعوب

حضرة العمدة

وحكايات أخرى
من السلاف



عبد التواب يوسف

رسوم : ممدوح طلعت

سفير

حكايات الشعوب

حضرة العمدة

و حكايات أخرى
من
السلاف



عبد التواب يوسف

رسوم
ممدوح طلعت

حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ

يُحْكَى أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ مُزَارِعٌ ثَرِيٌّ ، يُرِيدُ أَنْ يَفُـوزَ فِي كُلِّ صَفْقَةٍ يَدْخُلُ فِيهَـا بِنَصِيبِ الأَسَدِ ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ غَرِيبًا أَنْ يُسَاوِمَ بِاسْـتِمْرَارٍ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ. وَقَـدْ وَعَدَ رَاعِيًا عِنْدَهُ بِأَنْ يُعْطِيَهُ عِجْلا صَغِيـرًا فِي مُقَابِلِ عَمَلِهِ عِنْدَهُ. وَلَمَّا حَلَّ مَوْعِدُ تَنْفِيـذِ هَذَا الْوَعْدِ ، رَفَضَ الْمُزَارِعُ إِعْطَاءَهُ الْعِجْلَ ، وَاضْطُرَّ الرَّاعِي إِلَى أَنْ يَلْجَأَ إِلَى عُمْدَةِ الْبَلْدَةِ ؛ يَشْكُو إِلَيْهِ الأَمْرَ .

وَكَانَ الْعُمْدَةُ شَابا صَـغِيرًا ، تَوَلَّى مَنْصِبَهُ مُنْذُ وَقْتٍ قَرِيبٍ ، وَلَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ خِبْرَةٌ كَـافِيَةٌ فِي حَلِّ هَذِهِ الْمُشْكِلاتِ وَعِنْدَمَا اسْتَمَعَ إِلَى الطَّرَفَيْنِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَحْكُمَ فِي الْقَضِيَّةِ ، أَوْ يَبِتَّ فِي الأَمْرِ لِصَاحِبِ الْحَقِّ ؛ لِذَلِكَ قَالَ :

سَوْفَ أَطْرَحُ عَلَيْكُمْ لُغْزًا ، وَمَنْ مِنْكُمَا يُقَدِّمُ الْجَوَابَ الأَصَحَّ وَالأَصْلَحَ ، يَكُونُ الْعِجْلُ لَهُ . هَلْ تُوَافِقَانِ ؟

لَمْ يَكُنْ أَمَامَ الْمُتَنَازِعَيْنِ غَيْـرُ قَبُولِ هَذَا الْحُكْمِ الْعَجِيبِ ، وَالاقْتِرَاحِ الْغَرِيبِ ، فَقَـالَ الْعُمْدَةُ: هَذَا هُوَ اللُّغْزُ : مَا هُوَ أَسْرَعُ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا ، وَمَا أَحْلَى مَا فِيهَا ، وَمَا هُوَ أَكْثَرُهَا غِنًى وَثَرَاءً ؟

عَادَ الْمُزَارِعُ إِلَى بَيْتِهِ غَاضِبًا ، يَقُولُ لِنَفْسِهِ :

مَا هَذَا الْعُمْدَةُ الشَّابُّ الَّذِى لا يَعْرِفُ كَيْفَ يَقْضِى بَيْنَ النَّاسِ ؟ لَوْ أَنَّهُ حكَمَ لِصَالِحِى لأَهْدَيْتُهُ سَلَّةً مِنَ الْكُمَّثْرَى، أَمَّا الآنَ فَإِنَّنِى مُقْدِمٌ عَلَى فَقْدِ هَذَا الْعِجلِ ؛ لأَنَّنِى لَنْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أَحِلَّ هَذَا اللُّغْزَ الْغَبِىَّ . وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى دَارِه ، سَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ :

أَرَاكَ مُتَجَهِّمًا حَزِينًا ، مَاذَا بِكَ ؟

- هَذَا الْعُمْدَةُ الشَّابُّ . إِنَّهُ جَدِيدٌ عَلَى مَنْصِبِه ، لَوْ أَنَّ الْعُمْدَةَ الْقَدِيمَ كَانَ مكَانَهُ لأَعْطَانِى الْعِجْلَ بِلامُنَاقَشَةٍ ، أَمَّا صَاحِبُنَا هَذَا فَإِنَّهُ يَسْتَخْدِمُ الأَلْغَازَ فِى حَلِّ الْقَضَايَا الَّتِى تُوَاجِهُهُ وَ الْمُشْكِلاتِ الَّتِى تَعْتَرِضُهُ.

وَعِنْدَمَا سَمِعَتِ الزَّوْجَةُ اللُّغْزَ ، ابْتَسَمَتْ ، وَقَالَتْ :

- لا تَنْزَعِجْ ، وَلا تَقْلَقْ يَا زَوْجِىَ الْعَزِيزَ . إِنَّ لَدَىَّ الْحَلَّ .

- حَقا ؟



- إِنَّ أَسْرَعَ شَىْءٍ فِى الدُّنْيَا هُوَ حِصَانُنَا ، الَّذِى يُسَابِقُ الرِّيحَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ أَمَّا أَحْلَى شَىْءٍ فَهُوَ الْعَسَلُ الَّذِى نَأْخُذُهُ من خَلايَا النَّحْلِ الَّذِى نُرَبِّيه ، هَلْ أَنْتَ مَعِى؟

أَمَّا أَكْثَرُ الأَشْيَاءِ غِنًى فَهُوَ خِزَانَتُنَا الَّتِى تَمْتَلِئُ بِالذَّهَبِ ، وَالْفِضَّةِ وَ الْمُجَوْهَرَاتِ ، إِنَّنِى عَلَى ثِقَةٍ مِنْ ذَلِكَ .

فَرِحَ الْمُزَارِعُ ، وَظَهَرَتِ الْفَرْحَةُ عَلَى قَسَمَاتِ وَجْهِه ، وَقَالَ :

شُكْرًا لَكِ يَا زَوْجَتِىَ الْعَزِيزَةَ ، لا شَكَّ أَنَّ مُحَاوَلَتَكِ حَلَّ اللُّغْزِ صَحِيحَةٌ وَسَلِيمَةٌ ، وَسَوْفَ نَسْتَرِدُّ هَذَا الْعِجْلَ، وَلَنْ يَذْهَبَ أَبَدًا إِلَى ذَلِكَ الرَّاعِى الطَّمَّاعِ الطَّمُوحِ .

وَعِنْدَمَا عَادَ الرَّاعِى إِلَى بَيْتِه كَانَ



حزيناً ، مُقَطَّبَ الْوَجْـهِ ، يَتَنَهَّدُ ، ويزْفِرُ ، وَاسْتَقْـبَلَتْه ابْنَتُهُ الْجَمِيلَةُ الـذَّكِيَّةُ عِنْدَ الْبَابِ ، وَتَعلَّقَتْ بِرقَبَـتِهِ تُقَبِّلُهُ ، وَتَسْأَلُهُ عَمَّا بِهِ :

مَاذَا هُنَالِكَ يَا أَبِي ، وَمَـاذَا قَالَ الْعُمْـدَةُ؟ إِنَّنِي أَظُنُّ أَنَّنِي قَدْ فَقَـدتُ الْعِجْلَ إِلَى الأَبَدِ ؛ إِذْ طَرَحَ عَلَيْنَا الْعُـمْدَةُ لُغْزًا، لا أَظُنُّنِي قَادِرًا عَلَى أَنْ أَجِدَ لَهُ الْجَوَابَ الصَّحِيحَ ، يَا عَزِيزَتِي مَانْكَا .

مَا هَذَا اللُّغْزُ ؟ قَدْ أَسْـتَطِيعُ أَنْ أُسَاعِدَكَ فِي حَلِّهِ . ذَكَرَ الرَّاعِي الأَسْئِلَةَ الثَّلاثَةَ الَّتِي طَرَحَهَـا الْعُمْدَةُ عَلَيْهِ وَعَلَى خَصْمِهِ الْمُـزَارِعِ ، وَسَكَتَتْ مَانْكَا ، وَأَخَذَتْ تُفَكِّرُ فِي حَلِّ هَذَا اللُّغزِ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي عِنْدَمَا كَـانَ الرَّاعِي يَسْتَعِدُّ لِلذَّهَابِ إِلَى الْعُمْدَةِ ، أَجَابَتْ مَانْكَا إِجَابَةً ، رَأَتْ أَنَّهَا السَّلِيمَةُ .

وَعِنْدَمَا وَصَلَ الْخَصْمَانِ إِلَى الْعُـمْدَةِ ، فَرَكَ الْمُزَارِعُ يَدَيْهِ فِي بَعْضِهِمَا ، وَلاحَتْ عَلَى وَجْهِهِ ابْـتِسَامَةٌ عَرِيضَةٌ ، وَتَطَلَّعَ إِلَى الْعُمْدَةِ فِي ثِقَةٍ ، وَأَعَـادَ هَذَا مِنْ جَدِيدٍ طَرْحَ الأَسْئِلَةِ الثَّلاثَةِ عَلَى الْمُتَقَاضِيَـيْنِ ، وَانْبَرَى الْمُزَارِعُ يَقُولُ :

- أَسْرَعُ مَا فِى الدُّنْيَا حِـصَانِى ، وأَحْلَى مَا فِيهَا عَسَلِى ، وَأَغْنَى وَأَثْرَى شَىْءٍ هُوَ : خِـزَانَتِى الْعَامِرَةُ بِكُلِّ مَاهُوَ ثَمِينٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْمُجَوْهَرَاتِ .

وَنَفَخَ الْمُزَارِعُ صَدْرَهُ ، وأَطَالَ رَقَـبَتَهُ ، وَهَزَّ رَأْسَهُ ؛ عَـلامَةً عَلَى الْفَوْزِ وَالانْتِصَارِ ، وتَسَـاءَلَ فِى اسْتِنْكَارٍ: هَلْ لَدَى الرَّاعِى إِجَابَةٌ مِثْلُ الَّتِى ذَكَرْتُهَا ؟

تَقَدَّمَ الرَّاعِى ، وَحَنَى رَأْسَهُ قَلِيلا ، وَقَالَ فِى هُدُوءٍ وَعُمْقٍ :

أَسْرَعُ مَافِى الْوُجُـودِ هُوَ «الأَفْكَارُ» ؛ إِذْ تَأْتِى الْفِكْرَةُ فِى لَمْحِ الْبَصَرِ ، وَ هكَذَا تَمْضِى الأَفْكَارُ لَهَـا أَجْنِحَةٌ . أَمَّا أَحْلَى شَىْءٍ يَا إِخْوَتِى فَهُوَ «النَّوْمُ» ، فَهَلْ تَرَوْنَ شَيْئًا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِى حَـلاوَتِه ، وَخَاصَّةً عِنْدَمَا نَتْعَبُ ؟ أَمَّا أَكْثَرُ الأَشْيَاءِ غِنًى وثَرَاءً فَهُوَ «الأَرْضُ» ؛ لأَنَّها مَصْدَرُ كُلِّ الْغِنَى وكُلِّ الثَّـرَاءِ فِى هَذَا الْوُجُودِ بِمَنَاجِمِهَا وَآبَارِهَا ، بِغَابَاتِها وَزِرَاعَاتِهَا .

تَطَلَّعَ إِلَيهِ الْعُمْدَةُ وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّ الْعِجْلَ لَكَ .

وَنَظَرَ إِلَى الْمُزَارِعِ مُتَسَائِلا :

- أَلَمْ تَكُنْ إِجَابَاتُه الأَفْضَـلَ وَالأَحْسَنَ ؟ إِنَّ لَدَىَّ رَغْبَةً عَارِمَـةً فِى أَنْ أَعْرِفَ مَنْ سَاعَدَهُ عَلَيْهَـا ؛ فَلا أَظُنُّهَا مِنْ عِنْدِهِ .

فِى الْبِدَايَةِ رَفَضَ الرَّاعِى أَنْ يُعْلِنَ بِمَنْ أَعْطَتْـهُ الإِجَابَاتِ ، لَكِنَّ الْعُمْدَةَ ضَغَطَ عَلَيْهِ ؛ فَـاضْطُرَّ إِلَى أَنْ يَذْكُرَ أَنَّهَا ابْنَتُهُ «مَانْكَا» ، فَقَالَ الْعُمْدَةُ :



- إِنَّ فِى جُعْبَتِى الْكَثِيرَ مِمَّا أَحْتَاجُ إِلَيْــهِ مِنَ ابْنَتِكَ مَـانْـكَا ؛ مِنْ أَجْلِ مَزِيدٍ مِنَ الاخْتِبَارِ لَهَا .

اعْتَـدَلَ الْعُمْـدَةُ فِى جِلْسَـته ، وأَسَرَّ إِلَى خَادِمِه أَنْ يُحْـضِرَ عَشْرَ بَيْـضَاتٍ أَعْـطَاهَا لِلرَّاعِى ، وَهُوَ يَقُولُ :

خُذْ هَذِه الْبَيْضَاتِ ، وَاجْعَلِ ابْنَتَكَ مَـانْكَا تُعَـجِّلُ بِفَقْـسِهَـا غَـدًا، وَاحْمِلْ إِلَىَّ الْـكَتَاكِـيتَ أَوِ الْفِرَاخَ الْعَشرَةَ.



وَعِنْدَمَا عَادَ الرَّاعِى إِلَى الْبَيْتِ أَبْلَغَ ابْنَتَهُ بِمَا طَلَبَهُ الْعُمْدَةُ ، وَضَحِكَتِ الْفَتَاةُ الذَّكِيَّةُ ، وَقَالَتْ لأَبِيهَا :

- خُذْ يَا أَبِى حَفْنَةً مِنْ تُرَابِ الأَرْضِ ، وَاذْهَبْ بِهَا إِلَى الْعُـمْدَةِ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ ابْنَتِى تَسْأَلُكَ : هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَزْرَعَهَا بِمَحْصُـولٍ مَا ، فِى يَوْمِنَا هَذَا ، وَتَحْصُدُهُ غَدًا ؟ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَإِنَّ ابْنَتِى عَلَى اسْـتِعْدَادٍ لأَنْ تَبْعَثَ إِلَيْكُمْ بِالْفِرَاخِ ؛ لِكَى تُطْعِمَهَا مَا حَصَدْتَهُ مِنْ زَرْعِكَ !

وَعِنْدَمَا سَمِعَ الْعُمْدَةُ ذَلِكَ ضَحِكَ طَوِيلا مِن أَعْمَاقِ قَلْبِهِ ، وَقَالَ :

إِنَّهَا فَتَاةٌ ذَكِيَّةٌ ، بَـلْ هِىَ غَايَةٌ فِى الذَّكَاءِ ، وَإِذَا كَانَ جَمَالُهَا فِى مُسْتَوَى ذَكَـائِهَا ، فَإِنَّنِى أَرَى أَنَّهَا تَصْلُحُ زَوْجَةً لِى، وَعَلَيْكَ أَنْ تُبْلِغَهَا بِأَنْ تَأْتِىَ لِزِيَارَتِى ، بِشَرْطِ أَلا يَكُونَ ذَلِكَ بِالنَّهَارِ أَوْ بِاللَّيْلِ ، وَ أَلاتأْتِى رَاكِبَةً أَوْ سَائِرَةً عَلَى الأَقْدَامِ ، وَأَلا تَكُونَ عُرْيَانَةً ، أَوْ مُرْتَدِيَةً ثِيَابَهَا .

نَقَلَ الرَّاعِى رِسَالَةَ الْعُمْـدَةِ إِلَى ابْنَتِهِ الَّتِى انْتَظَرَتْ إِلَى الْيَوْمِ التَّالِى ، وَمَعَ الْفَجْرِ وَعِنْدَمَـا مَضَى اللَّيْلُ وَلَمْ يُقْبِلِ

الصَّبَاحُ بَعْدُ ، ذَهَبَتْ إِلَى الْعُمْدَةِ ، لَفَّتْ نَفْسَهَا فِي شَبَكَةِ صَيْدٍ ، وَمَشَتْ عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ وَوَضَعَتِ الأُخْرَى فَوْقَ عَنْزَتِهَا الصَّغِيرَةِ وَاسْتَقْبَلَهَا الْعُمْدَةُ فَقَالَتْ لَهُ :

- لَسْنَا الآنَ بِاللَّيْلِ أَوْ بِالنَّهَارِ ، نَحْنُ فِي الْفَجْرِ ، ثُمَّ إِنَّنِي لَسْتُ عُرْيَانَةً وَلا أَضَعُ فَوْقِي ثِيَابِي، وَلا تَرَانِي لا رَاكِبَةً عَنْزَتِي ، وَلا أَنَا أَمْشِي عَلَى قَدَمِي .

انْبَهَرَ الْعُمْدَةُ الشَّابُّ بِذَكَاءِ مَانْكَا ، وَحُسْنِ تَصَرُّفِهَا وَسَعَةِ أُفُقِهَا ، وَطَرِيقَةِ تَفْكِيرِهَا ، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَبِيهَا يَطْلُبُ يَدَهَا وَاشْتَرَطَ عَلَيْهَا قَائِلا :

- مَانْكَا، عَلَيْكِ أَلا تُمَارِسِي ذَكَاءَكِ هَذَا عَلَيَّ شَخْصِيا ، وَلا عَلَى حِسَابِي ، وَأُحَذِّرُكِ مِنَ التَّدَخُّلِ فِي عَمَلِي ، أَوْ فِي قَضَايَايَ ، بِأَيِّ شَكْلٍ مِنَ الأَشْكَالِ ، وَأَنْتِ مَمْنُوعَةٌ تَمَامًا أَنْ تُقَدِّمِي لأَحَدٍ رَأْيَكِ أَوْ مُسَاعَدَتَكِ إِذَا لَجَأَ إِلَيَّ ؛ إِنَّكِ إِذَا فَعَلْتِ شَيْئًا مِنْ هَذَا فَإِنَّنِي سَأَتَخَلَّصُ مِنْكِ فِي التَّوِّ وَاللَّحْظَةِ ، وَأُعِيدُكِ إِلَى بَيْتِ أَبِيكِ . . هَلْ تُوَافِقِينَنِي عَلَى هَذَا الشَّرْطِ ؟

احْمَرَّ وَجْهُ الْفَتَاةِ ، وَخَفَضَتْ صَوْتَهَا وَرَأْسَهَا ، وَهِيَ تَقُولُ فِي رِقَّةٍ وَعُذُوبَةٍ : نَعَمْ أُوَافِقُكَ .

وَتَمَّ زَوَاجُ الْعُمْدَةِ مِنْ مَانْكَا ، وَكَمَا يَقُولُون دَائِمًا فِي الْحِكَايَاتِ: وَأُقِيمَتِ الأَفْرَاحُ وَاللَّيَالِي الْمِلاحُ



وَذَاتَ يَوْمٍ جاءَ إِلَى دَارِ الْعُمْدَةِ فَلاحَانِ يَتَنَازَعَانِ مِلْكِيَّةَ مُهْرٍ صَغِيرٍ ، وَضَعَتْهُ فَرَسُ أَحَدِهِمَا تَحْتَ عَرَبَةِ الآخَرِ فِى السُّوقِ ، فَـادَّعَى كُلٌّ مِنْهُمَا أَنَّهُ لَهُ . وكَـانَ الْعُمْدَةُ مَـشْغُولا بِأُمُـورٍ كَثِيـرَةٍ ، وَرَغِبَ فِى أَنْ يَفْرُغَ مِنْ هَذِهِ الْقَضِـيَّةِ بِسُرْعَةٍ، وَإِذَا بِهِ فِى عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ يَحْكُمُ بِأَنَّ الْمُهْرَ الصَّغِيرَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِ العَرَبَةِ الَّتِى وُلِدَ تَحْتَهَا .

وَعِنْدَمَا كَانَ الْفَلاحُ صَاحِبُ الْفَرَسِ الأُمِّ يُغَادِرُ بَيْتَ الْعُمْدَةِ الْتَـقَى مَعَ «مَانْكَا»عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَحَكَى لَهَا مَا حَدَثَ مِنْ زَوْجِهَا ، فَغَضِبَتْ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَفْسِهَا مِنْ هَذَا الْحُكْمِ الْجَائِرِ الَّذِى أَصْدَرَهُ ، وَقَالَتْ لِلْفَلاحِ :



عُدْ إلَيْنَا بعْدَ ظُهْرِ الْيَـوْمِ ، وَمَعَكَ وَاحِدَةٌ مِنْ شِبَاكِ صَيْدِ الأَسْمَاكِ ، وَافْـرِشْهَا عَلَى الأَرْضِ ، بِعَرْضِ الطَّرِيقِ ، وَعِنْدَمَا يرَاكَ الْعُـمْدَةُ تَفْعَلُ ذَلِكَ فَسَـوْفَ يَخْرُجُ وَيَسْأَلُكَ : مَاذَا تَفْـعَلُ ؟ قُلْ لَهُ : إِنَّكَ تَصِيدُ السَّمَـكَ! وَإِذَا مَا قَالَ لَكَ: كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَتَـوَقَّعَ صَيْدَ السَّمَكِ مِنْ فَوقِ الأَرْضِ ، قُلْ لَهُ : لَيْسَ هُنَاكَ مَـاهُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ ؛ لأَنَّهُ عَلَى الأَقَلِّ أَسْهَلُ بِكَثِيرٍ مِنْ أَنْ تَلِدَ عَرَبَةٌ مُهْرًا صَغِيـرًا . وَعِنْدَهَا سَوْفَ يُحِسُّ أَنَّهُ قَدْ ظَلَمَكَ ، وَيُعِيدُ إِلَيْكَ مُهْرَكَ . وَتَنَبَّهْ إِلَى شَيْءٍ مُهِمٍّ ؛ احْذَرْ أَنْ تَقُولَ لَهُ : إِنَّنِى أَنَا الَّتِى أَرْشَدَتْكَ إِلَى هَذَا ، وَدَلَّتْكَ عَلَيْهِ .

وَبَعْدَ ظُهْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ جَاءَ الفَلاحُ بِالشَّبَكَةِ ، وَأَلْقَى بِهَـا عَلَى الأَرْضِ أَمَامَ بَيْتِ الْعُمْدَةِ ، الَّذِى رَآهُ ، وَسَأَلَهُ عَمَّا يَفْعَلُهُ ، وَدَارَ الْحِـوَارُ بَيْنَهُمَا عَلَـى نَفْسِ مَا تَوَقَّعَـتْهُ «مَانْكَا»، وَفِـعْلا اعْتَرَفَ الْـعُمْدَةُ بِأَنَّهُ قَـدْ أَخْطَأَ فِى حُكْمِهِ فِى الصَّبَـاحِ ، وَأَعَادَ إِلَى الرَّجُلِ مُهْـرَهُ ، لَكِنَّهُ أَحَسَّ مِنْ تَسَلْسُلِ الأَحْدَاثِ أَنَّ «مَـانْكَا» لابُدَّ أَنْ تَكُونَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ ؛ لِذَلِكَ سَأَلَ الرَّجُلَ فِى إِصْرَارٍ عَمَّنْ دَبَّرَ لَهُ هَذَا الأَمْرَ ، وَوَضَـعَ لَهُ هَذِهِ الْخُطَّةَ ، وَحَاوَلَ الْفَلاحُ أَنْ يُخْفِى الأَمْرَ عَنِ الْعُمْدَةِ ، إِلا أَنَّهُ رَفَضَ أَنْ يَدَعَهُ يُغَادِرُ الْمَكَانَ قَبْلَ أَنْ يَعْتَرِفَ لَهُ بِالأَمْرِ، وَيَكْشِفَ السِّتَّارَ عَمَّنْ عَاوَنَهُ وَسَاعَدَهُ .

وَعِنْدَمَا شَعَرَ بِأَنَّ الْعُمْدَةَ مُصِرٌّ عَلَى مَـعْرِفَةِ صَاحِبِ الْفِكْرَةِ اضْطُرَّ الرَّجُلُ إِلَى أَنْ يُعْلِنَ أَنَّهَا «مَانْكَا» ، وَأَنَّهُ مَا مِنْ شَخْصٍ آخَرَ يَسْتَطِيعُ قَطُّ أَنْ يُفَكِّرَ بِهَذَا الأُسْلُوبِ وَهَذِهِ الطَّرِيقَةِ غَيْرُهَا هِىَ وَحْدَهَا .

فَقَدَ الْعُمْدَةُ صَوَابَهُ ، وَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَذَكَّرَ زَوْجَتَهُ بِمَا سَبَقَ أَنِ اشْتَرَطَ عَلَيْهَا قَبْلَ الزَّوَاجِ ، وَقَالَ :

– لا أَظُنُّكِ نَسِيتِ مَـا حَذَّرْتُكِ مِنْهُ يَوْمَئِـذٍ ، إِذَا أَنْتِ تَدَخَّلْتِ فِى عَمَلِى . إِنَّ عَلَيْكِ الآنَ أَنْ تُغَـادِرِى بَيْتِى إِلَى بَيْتِ أَبِيكِ ، وَلَيْسَ مَسْمُوحًا لَكِ أَنْ تَحْمِلِى مِنْ عِنْدِى غَيْرَ شَىْءٍ وَاحِـدٍ . . وَاحِدٍ فَقَطُّ ، تَرْغَبِينَ فِيهِ وَتَعْتَزِّينَ بِهِ ، حَتَّى لا يُقَالَ : إِنَّنِى قَدْ أَسَـأْتُ مُعَامَلَتَكِ أَوْ أَخْطَأْتُ فِى حَقِّكِ .

لَمْ يَكُنْ لَدَى مَانْكَا مِنْ عُـذْرٍ لِمَا صَنَعَتْـهُ وَلا مَا كَانَ هُنَاكَ مُـبَرِّرٌ لِمَا عَـمِلَتْهُ ؛ لِذَلِكَ اعْتَـرَفَتْ بِأَنَّهَا أَخْطَأَتْ ، وَقَالَتْ لِزَوْجِهَا حَضْرَةِ الْعُمْدَةِ فِى اسْتِعْطَافٍ :

إِنَّنِى يَا زَوْجِىَ الْعَزِيزَ مَا كُنْتُ أُرِيدُ بِمَـا فَعَلْتُ غَيْرَ أَنْ يَصِلَ الْحَقُّ إِلَى صَاحِبِـهِ لا أَكْثَرَ وَلا أَقَلَّ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ سَوْفَ أَسْتَجِيبُ لِمَا أَمَـرْتَ بِهِ ، وَهَذَا حَقُّكَ ، وَسَـأَعُودُ إِلَى كُـوخِ أَبِى ، حَامِلَةً مَعِى ذَلِكَ الشَّىْءَ الْوَحِـيدَ الَّذِى أَذِنْتَ بِهِ ، وَالَّذِى أَتَمَنَّاهُ وَأَرْغَبُ فِـيهِ ، غَيْـرَ أَنَّنِى أَرْجُوكَ أَنْ يَحْـدُثَ هَذَا بَعْدَ أَنْ أَتَنَاوَلَ مَـعَكَ طَعَامَ الْعَـشَاءِ. إِنَّهُ الْعَشَـاءُ الأَخِيـرُ لِى فِى هَذِهِ الدَّارِ ، فَلا تَحْـرِمْنِى مِنْهُ ، وَلَنْ أَتَبَادَلَ مَـعَكَ كَلِمَةً وَاحِـدَةً ، وَلَنْ تَصْدُرَ مِنِّى عِـبَارَةُ اعْتِرَاضٍ وَاحِدَةٌ عَلَى قَرَارِكَ ، وَلْنَكُنْ وَدُودَيْنِ ، كُلٌّ مَعَ الآخَرِ ، كَمَا كُنَّا دَائِمًا ، وَلْنَفْتَرِقْ كَصَدِيقَيْنِ.

وَافَقَ الْعُمْدَةُ عَـلَى مَا طَلَبَتْهُ «مَانْكَا» الَّـتِى أَخَذَتْ تُعِدُّ لَهُ أَفْخَرَ أَنْوَاعِ الـطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مِمَّا يُحِبُّهُ وَيَحْلُو لَهُ مِنْ صُنْعِ يَدَيْهَـا ، وَجَلَسَا مَعًـا إِلَى مَائِدَةِ الْعَـشَاءِ ، وَأَخَـذَتْ تُقَدِّمُ لَهُ هَذِهِ الأَطْبَاقَ وَاحِـدًا بَعْدَ الآخَـرِ ، وَتَسْقِـيهِ مِنَ الأَكْوَابِ شَرَابًا لَذِيذًا طَهُورًا ، وَعِـنْدَمَا انْتَهَيَا مِنْ وَجْبَتَـيْهِمَا بَدَأَ النَّوْمُ يُدَاعِبُ جُفُونَ الْعُـمْدَةِ ، وَلَمْ تُحَاوِلْ «مَانْكَا»



إيقاظَهُ ، بَلْ حَمَلَتْهُ مَعَهَا ، وَهُوَ مُسْتَغْرِقٌ فِى نَوْمِهِ ، وَمَضَتْ بِهِ إِلَي بَيْتِ أَبِيهَا فِى عَرَبَةٍ أَعَدَّتْهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ .

وَفِى صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِى ،عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ مِنْ نَوْمِهِ ، أَبْدَى دَهْشَتَهُ الشَّدِيدَةَ ؛ لأَنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ فِى كُوخِ وَالِدِ مَانْكَا ، فَالْتَفَتَ حَوْلَهُ ، وَسَأَلَهَا فِى غَضَبٍ شَدِيدٍ: مَنْ أَتَى بِى إِلَى هُنَا ؟ وَمَاذَا يَعْنِى هَذَا ؟

قَالَت مَانْكَا : لا شَىْءَ ، يَا زَوْجِى الْعَزِيزَ ، إِنَّنِى أُنَفِّذُ مَا أَمَرْتَ أَنْتَ بِهِ ، حِينَ قُلْتَ لِى : إِنَّ مِنْ حَقِّى أَنْ أَحْمِلَ مَعِى شَيْئًا وَاحِدًا أَرْغَبُ فِيهِ وَأَعْتَزُّ بِهِ . . صَاحَ فِى ضِيقٍ: أَنْتِ لَمْ تُجِيبِينِى عَلَى سُؤَالِى الآن.

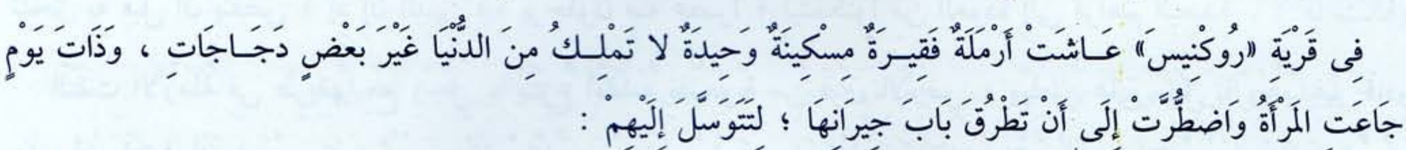
أَضَافَتْ : إِنَّكَ أَنْتَ يَازَوْجِى الْعَزِيزَ ذَلِكَ الشَّىْءُ الْوَحِيدُ الَّذِى أَعتَزُّ بِهِ ، وَأَرْغَبُ فِيهِ ، وَلا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعِيشَ بِدُونِهِ ؛ لِذَلِكَ صَحِبْتُكَ إِلَى بَيْتِ أَبِى بِمَشِيئَتِكَ وَإِرَادَتِكَ . نَهَضَ حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ مِنَ الْفِرَاشِ الْمُتَوَاضِعِ ، وَأَمْسَكَ بِيَدِ زَوْجَتِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ لَهَا :

- مَانْكَا ، يَا عَزِيزَتِى ، أَنْتِ فِى مُنْتَهَى الذَّكَاءِ ، وَأَعْتَرِفُ لَكِ أَنَّكِ زَوْجَةٌ رَائِعَةٌ ، وَلَسَوْفَ أَقُولُ لِمَنْ يَلْجَأُ إِلَىَّ فِى مُشْكِلَةٍ صَعْبَةٍ: دَعْنِى أَسْتَشِرْ زَوْجَتِى ؛ لأَنَّهَا إِنْسَانَةٌ ذَكِيَّةٌ وَعَادِلَةٌ .

وَتَرَكَ حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ وَمَانْكَا كُوخَ الأَبِ إِلَى بَيْتِهِمَا السَّعِيدِ .

كَارَاكُونُوشُ

يَقُولُونَ : إِنَّ الْعَـفَارِيتَ قَـدِ اخْتَفَتْ مِنْ عَلَى ظَهْـرِ الأَرْضِ ، وَمَا عُدْنَا نَـرَاهُمْ ، لَكِنَّ قَرْيَةَ «رُوكْنِيس» فِى جِبَالِ «بُوهِيمْيَا» تَزْعُمُ أَنَّهَا تَحْتَفِظُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الْيَوْمِ ، يَعْطِسُ فَتَهُبُّ الرِّيَاحُ، يَعْبِسُ فَتَتَجَمَّعُ السُّحُبُ السَّوْدَاءُ ، وَيَغْضَبُ فَتَثُورُ الْبَرَاكِينُ .



فِى قَرْيَةِ «رُوكْنِيس» عَـاشَتْ أَرْمَلَةٌ فَقِيـرَةٌ مِسْكِينَةٌ وَحِيدَةٌ لا تَمْلِـكُ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَ بَعْضِ دَجَـاجَاتٍ ، وَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَتِ الْمَرْأَةُ وَاضْطُرَّتْ إِلَى أَنْ تَطْرُقَ بَابَ جِيرَانِهَا ؛ لِتَتَوَسَّلَ إِلَيْهِمْ :

- هَلْ لِى أَنْ أَرْجُوكُمْ أَنْ تُعْطُونِى «كِيلُو» مِنَ الْبَطَاطِسِ وَأُعِيدَهُ لَكُمْ قَرِيبًا؟

سَخِرَ مِنْهَا جَارُهَا ، وَقَالَ لَهَا :

- مِنْ أَيْنَ لَكِ أَنْ تُعِيدِيهِ ! أَنْتِ لا تَمْلِكِينَ شَيْئًا .

قَالَتْ : دَجَاجَتِى تَبِيضُ ، وَعِنْدَمَا . . .

- لا لا . . .

هَذَا مَا قَالَهُ الْجَارُ ، وَهُوَ يُغْلِقُ الْبَابَ فِى وَجْهِهَا .

رَجَعَتِ الأَرْمَلَةُ الْمِسْكِينَةُ إِلَى بَيْتِهَا ، وَوَجَدَتْ أَنَّ دَجَاجَاتِهَا قَدْ مَنَحَتْهَا ثَلاثَ بَيْضَاتٍ، قَالَتْ لِنَفْسِهَا :

- كَانَ يُمْكِنُ لِهَـذَا الْجَارِ - الَّذِى جَارَ عَلَىَّ - أَنْ يُعْفِينِى مِنَ الرِّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ إِلَى السُّوقِ ، لَوْ أَنَّهُ أَعْطَانِى الْبَطَاطِسَ الَّتِى سَأَلْتُهُ إِيَّاهَا .

ارْتَدَتِ الأَرْمَلَةُ ثِيَابَهَا عَلَى عَجَلٍ ، وَحَمَلَتِ الْبَيْضَاتِ الثَّلاثَ ، وَمَضَتْ مُسْرِعَةً إِلَى سُوقِ الْقَرْيَةِ ، تُرِيدُ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْفَضَّ ؛ إِذْ إِنَّ الَّذِينَ فِيهِ يَرْحَلُونَ مِنْهُ عَصْرًا ؛ لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ الْعَوْدَةِ إِلَى قُرَاهُمُ الْبَعِيدَةِ .

الْتَقَتِ الأَرْمَلَةُ فِى طَرِيقِهَا مَعَ رَجُلٍ ، يَنْتَزِعُ أَقْدَامَهُ بِصُعُوبَةٍ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ، وَيَسِيرُ عَلَى مَهَلٍ ، وَهُوَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى أَنْ يَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ ، كَمَا أَنَّهُ يَتَوَقَّفُ كُلَّ خَمْسِينَ خُطْوَةً ؛ لِيَسْتَرِيحَ قَلِيلا ، ثُمَّ يُوَاصِلَ السَّيْرَ. نَادَاهَا الرَّجُلُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ قَائِلا :



- هَلْ لَدَيْكِ مَا تُعْطِينِى إِيَّاهُ ، طَعَامًا ؟ مَعِدَتِى خَاوِيَةٌ مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ !

- لَيْسَ مَعِى غَيْرُ ثَلاثِ بَيْضَاتٍ ، أَحْتَاجُ إِلَى ثَمَنِهَا !

- اسْتَغْنِى عَنْ وَاحِدَةٍ مِنْهَا .

- تَفَضَّلْ !

أَعْطَتْهُ الأَرْمَلَةُ بَيْضَةً ، وَأَسْرَعَتْ فِى سَيْرِهَا ، لَكِنَّهَا سَمِعَتْهُ بَعْدَ عِدَّةِ خُطُوَاتٍ يُنَادِيهَا مِنْ جَدِيدٍ ، وَيَسْأَلُهَا بَيْضَةً أُخْرَى ، فَقَالَتْ :

- وَهَلْ أَذْهَبُ إِلَى السُّوقِ لأَبِيعَ بَيْضَةً وَاحِدَةً ! أَمْرِى إِلَى اللهِ !

- الأُولَى فَتَحَتْ شَهِيَّتِى .

وَضَعَتِ الْمَرْأَةُ الْبَيْضَةَ فِى

يَدِهِ ، وَمَضَتْ ، غَيْرَ أَنَّهُ نَادَاهَا لِلمرَّةِ الثَّالِثَةِ :

- الْبَيْضَةُ الثَّالِثَةُ ، سَأَشْتَرِيهَا مِنْكِ بِمُقَابِلِ جُنَيْهٍ ذَهَبِىٍّ ، وَأَدْفَعُ كَذَلِكَ ثَمَنَ الْبَيْضَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ . . خُذِى . . هَذِهِ ثَلاثَةُ جُنَيْهَاتٍ ذَهَبِيَّةٌ .

ذُهِلَتِ الْمَرْأَةُ ، وَأَخَذَتِ الْجُنَيْهَاتِ ، وَأَعْطَتْهُ الْبَيْضَةَ ، وَعَادَتْ إِلَى الْقَرْيَةِ ، وَطَرَقَتْ بَابَ الْجَارِ الشَّحِيحِ ، وَقَالَتْ لَهُ :

- أُرِيدُ جِوَالِقَ (شُوَال) بَطَاطِسٍ ، وجِوَالِقَ دَقِيقٍ ، وَجِوَالِقَ سُكَّرٍ ، وَبَاقِى جُنَيْهٍ ذَهَبِىٍّ

صَاحَ الْجَارُ : جُنَيْهٌ ذَهَبِىٌّ ! لَقَدْ نَسِيتُ شَكْلَهُ !

اصْفَرَّ وَجْهُ الْجَارِ ، وَبَدَأَ يَجْرِى هُنَا وَهُنَاكَ ، مِثْلَ دَجَاجَةٍ مُوَزَّعَةٍ تَبْحَثُ عَنْ صِغَارِهَا ، وَعَادَ يَحْمِلُ إِلَيْهَا مَاطَلَبَتْ ، وَفَوْقَهُ هَدِيَّةٌ ، وَسَأَلَهَا : مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا ؟ فَقَالَتْ :

- قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَى السُّوقِ قَابَلَنِى مَنِ اشْتَرَى مِنِّى الْبَيْضَةَ بِجُنَيْهٍ ذَهَبِىٍّ !

أَعْطَى الْجَارُ لِلأَرْمَلَةِ مَا اشْتَرَتْهُ ، وَعَادَ مُسْرِعًا، يَحْمِلُ مَا عَدَّهُ مِنَ الْبَيْضِ ، وَيَمْضِى عَلَى الطَّرِيقِ ، وَالْتَقَى بِهِ الرَّجُلُ نَفْسُهُ ، وَسَاوَمَهُ ، وَإِذَا بِهِ يَقُولُ لَهُ :

- لَنْ أَبِيعَ لَكَ الْبَيْضَةَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلاثَةِ جُنَيْهَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ .

- أَلا تَكْتَفِى بِجُنَيْهٍ وَاحِدٍ ؟

- لا لا . . لا تُعَطِّلْنِى عَنِ السُّوقِ ، أَرْجُوكَ .

تَرَكَهُ الْعَجُوزُ ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ الرَّجُلُ إِلَى السُّوقِ لَمْ يَجِدْ مَنْ يَشْتَرِى مِنْهُ الْبَيْضَ ، إِلا بِثَمَنٍ بَخْسٍ، لا يَزِيدُ عَلَى خَمْسَةِ قُرُوشٍ لِلْبَيْضَةِ ؛ فَعَادَ يَحْمِلُ كُلَّ الْكَمِّيَّةِ، وخِلالَ رِحْلَةِ الْعَوْدَةِ حَاوَلَ





الْعَجُـوزُ أَنْ يَشْتَرِىَ مِنْهُ كُلَّ مَا مَـعَهُ بِمُقَابِلِ خَـمْسَةِ قُرُوشٍ . وكَـانَ الرَّجُلُ قَدْ تَعِبَ مِنْ حَمْلِ الْبَـيْضِ؛ لِذَلِكَ قَبِلَ الصَّفْقَةَ، فَقَالَ لَهُ الْعَجُوزُ :

- هَلْ تُعْطِينِى هَذِهِ السَّلَّةَ ؛ لأَضَعَهُ فِيهَا ؟

- أَبِيعُهَا لَكَ بِجُنَيْهٍ ذَهَبِىٍّ .

- لا لا . . لَسْتُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا . ضَعْ يَدَيْكَ عَلَى عَيْنَيْكَ .

- لِمَاذَا !

- هُوَ مُجَرَّدُ رَجَاءٍ أَسْأَلُكَ إِيَّاهُ .

فَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ فَتَرَامَى إِلَى سَمْـعِهِ أَصْوَاتٌ غَرِيبَةٌ، اضطُرَّ إِزَاءَهَا إِلَى أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْهِ لِيَجِـدَ الْعَجُوزَ يُلْقِى بَيْضَةً وَاحِدَةً بِقُوَّةٍ وَعُنْفٍ عَلَى الأَرْضِ لِتَتَحَطَّمَ .

مَدَّ الْعَجُوزُ - كَارَاكُونُوشُ - يَدَهُ ؛ لِكَىْ يَلْتَقِطَ مِنْ دَاخِلِ الْبَيْضَةِ الْمَكْسُورَةِ جُنَيْهًا ذَهَبِيا يَلْمَعُ ، وَوَضَعَهُ فِى جَيْبِهِ ، ثُمَّ أَلْقَى بَيْضَةً أُخْرَى ؛ لِيَأْخُذَ مِنْهَا جُنَيْهَاتٍ أُخْرَى، فِى حِينِ فَتَحَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ فِى ذُهُولٍ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ

وَبَيْنَ تَحْطِيمِ الْمَزِيدِ مِنَ الْبَيْضِ قَائِلا :

- كَفَى أَرْجُوكَ ؛ فَقَدْ تَذَكَّرْتُ الآنَ أَنَّنِى وَعَدْتُ جَارَتِى بِهَذَا الْبَيْضِ ؛ لِذَلِكَ أَرْجُوكَ ، فَإِنَّنِى أَرْغَبُ فِى أَنْ أَسْتَعِيدَهُ.

تَجَادَلَ الرَّجُلُ مَعَ كَارَاكُونُوش فِى الأَمْرِ بِضْعَ دَقَائِقَ ، إِلَى أَنْ قَبِلَ أَنْ يَرُدَّ لَهُ الْبَيْضَ ، مُتَسَامِحًا مَعَهُ فِى الْبَيْضَتَيْنِ الْمَكْسُورَتَيْنِ .

وَمَضَى عَنْهُ كَارَاكُونُوشُ بِضعَ خُطُواتٍ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْوَرَاءِ ؛ لِيَرَى مَا سَوْفَ يَفْعَلُهُ ، فَوَجَدَ يَدَهُ قَدِ امْتَدَّتْ إِلَى بَيْضَةٍ لِيَكْسِرَهَا عَلَى حَجَرٍ صَغِيرٍ ، فَلَمْ يَجِدْ بِدَاخِلِهَا شَيْئًا ، فَأَخَذَ يَكسِرُ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى دُونَ أَنْ يَعْثُرَ فِى أَىٍّ مِنْهَا عَلَى شَىْءٍ ، بَلْ لَمْ يَجِدْ فِيهَا قِرْشًا وَاحِدًا !

وَجَلَسَ الرَّجُلُ يَتَطَلَّعُ إِلَى حُطَامِ الْبَيْضِ الْمَكْسُورِ ، فِى حُزْنٍ وَأَسًى،



وَفَجْأَةً قَفَزَ مِنْ مَكَانِهِ ، وَأَخَذَ يَرْكُلُ السَّلَّةَ بِقَدَمَيْهِ بِقُوَّةٍ ، إِلَى أَنْ أَطَاحَ بِهِ ، وَكَسَرَهُ عَنْ آخِرِهِ. فِى اللَّحْظَةِ الَّتِى خَرَجَ مِنَ الْبَيْضِ فَجْأَةً عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّحْلِ ، وَأَخَذَ يَقْرُصُهُ ، وَهُوَ يَصْرُخُ :

- آهْ . . إِنَّهُ كَارَاكُونُوشُ !

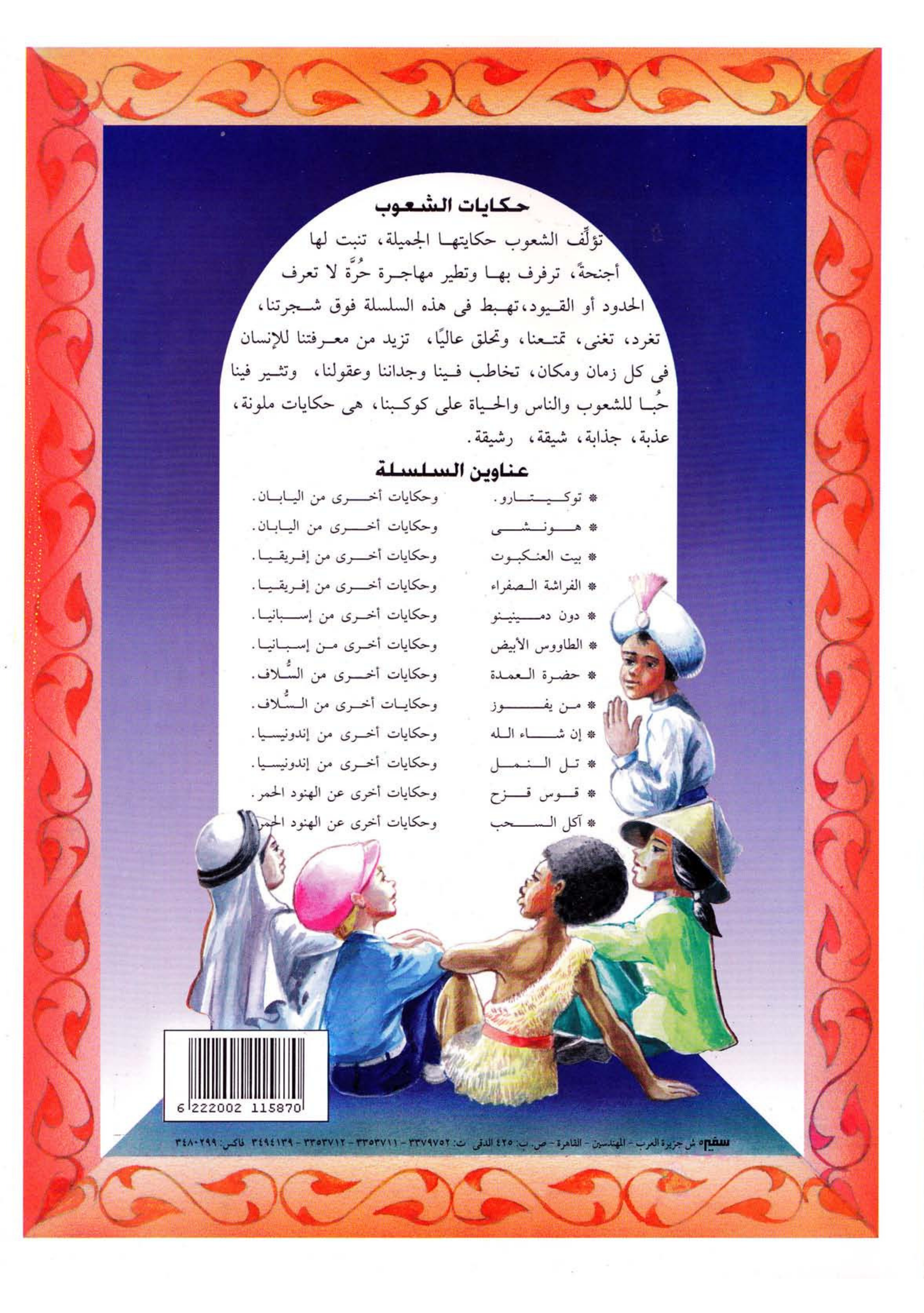
وَارْتَفَعَ صَوْتٌ مُدَوٍّ مِنْ فَوقِ الْجِبَالِ ، سُمِعَتْ أَصْدَاؤُهُ فِى كُلِّ مَكَانٍ :

- كَارَاكُونُوشُ . . كَارَاكُونُوشُ . . كَارَاكُونُوشُ .

فهرس



رقم الإيداع ٥٤٠٦ / ٩٧ الترقيم الدولى: ISBN : 977 - 261 - 539 - 2



سفير ٥ ش جزيرة العرب - المهندسين - القاهرة - ص. ب: ٤٢٥ الدقى ت: ٣٣٧٩٧٥٢ - ٣٣٥٣٧١١ - ٣٣٥٣٧١٢ - ٣٤٩٤١٣٩ فاكس: ٣٤٨٠٢٩٩